



مختصر خطبة صلاة الجمعة 6 / 12 / 2024 للشيخ الطيب محمد خير الشَّعَال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(الله لطيف بعباده، فاطمئنا)

لطفُ الله تعالى يدورُ على معنيين عظيمين نحتاجهما جميعاً، أولهما: أن علمه سبحانه دقٌّ ولطفٌ حتى أدرك السرائر والضمائر والخفايا، وثانيهما: أنه يوصل لعباده مصالحهم، ويدفع عنهم ما أهمهم من أخطار بطرق لا يشعرون بها ولا يتوقعونها، وكم في هذين المعنيين من طمأنينة لقلوب المؤمنين، وربط عليها، وثبتت لها.

وفي المعنى الأول الدال على دقة علم الله تعالى قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم: ﴿يَا بَنِيَّ إِنِّي إِذْ أَنْتَ مُثْقَلٌ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

وفي المعنى الثاني الدال على إيصال المصالح لعباده من حيث لا يشعرون ولا يتوقعون، قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام بعد أن أنجاه من الجب والرق والسجن وفتنة امرأة العزيز وجعله عزيز مصر قال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100].

اللطيف: اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه الرفيق بعباده، كما قاله الإمام القرطبي، وقال الخطابي: اللطيف: هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون.

مَنْ الذي أخرجك جنيناً من بين المهالك، ومن الذي حفظك وغذاك من قبل أن تسأله ذلك!؟

أليس هو اللطيف؟ أتخاف أن يتركك إذا أحاطت بك الخطوب، أو نزلت بك الكروب! اطمئن فإن معك اللطيف الخبير.

مَنْ الذي أهلك عند انفصالك التمام ثدي الأم من غير تعليم، ومَنْ الذي جمّل صورتك وكتل خلقتك في أحسن تقويم؟

أليس هو اللطيف؟ أتخاف أن ينسأك في البلوى، وألا يسمع الشكوى! اطمئن فإن معك اللطيف الخبير. أيها الأخ الكريم:

مَنْ الذي أساغ لك ابتلاع اللقمة من غير كلفة وقد تعاون على إصلاحها خلق لا يُخصى عددهم من مُصلِح الأَرْض وزارعها وساقِها وحاصِدها ومنقيها وطاحِنها وعاجِنها وخابِزها وحاملِها ومقدمِها؟ أليس هو اللطيف!؟ أتخاف الفاقة وأنت عبده نفع فيك من روحه وأسجد لك ملائكته؟ اطمئن فإن معك اللطيف الخبير.

والله ثم والله ثم والله، لو كُشف الغطاء عن ألطاف ربنا سبحانه بعباده وبره بهم وصنعه لهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون لذابت قلوبهم حباً له، وشوقاً إليه، ولخروا ساجدين بين يديه، ضارعين شاكرين إليه، ولكنها الأهواء حجبت القلوب عن مشاهدة المنن، والشياطين حجبت العباد عن لزوم أمر المنعم سبحانه وذكره.

وإن اسم الله اللطيف بمعناه الثاني وهو إيصال المصالح للعباد ودفع المهالك عنهم، يدعوننا للشكر في النعماء والصبر في الضراء وعدم الجزع عند نزول البلاء. يحكى عن أحد الصالحين أنه قال: "أدركتني ضائقة وخوف، فخرجت هائماً، فاشتد بي العطش والحر، فجلست مستقبلاً القبلة، فغلبتني عينايا وأنا جالس، فرأيت شخصاً في المنام فمدَّ يده إليّ وصافحني، وقال لي قل: "يا لطيفاً بخلقِهِ، يا عليماً بخلقِهِ، يا خبيراً بخلقِهِ، الطّف بي يا لطيفُ يا عليمُ يا خبيرُ" ثلاثاً.

فقلتها فقال لي: إذا لحقتك ضائقة، أو نزلت بك نازلة، فقلها تُكفي وتُشفى، ثم غاب عني، فاستيقظت وأنا أقولها، فوالله ما قلتها عند ضائقة وشدة إلا ورأيت من لطف الله بي ما أعجز عن وصفه. **والحمد لله رب العالمين**